لولا محمد وقد قدره لانى لكم فى دخول مكة ولكنه حال بينكم وبين ذلك لحكمة والسبب لسبب ذلك الحكمة وصد من شاء
اى فى دينه الاسلام ومن شاء اى عن اهل مكة بعد التسلط وقبل دخولها لو تزيلوا اى تميز وا على المؤمنين من الكفار
لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما اى بالسبى والقتل بايديكم وقيل لو عذبنا شاهو اليا لكلا من احدهما او لاحد الرجال
والنساء لو لا ان تطوهم ان تدوسوهم بالخيل والابل فتقتلوهم بايديكم وانتم لا تعلمون بهم فتعتذروا بهم عند الله
فتاذوا بلا اثبة ان الله تعالى ليدفع بالمؤمنين عن مشركى مكة قوله تعالى ليدخل الله فى رحمته من يشاء اى فى جنته قال
الانفة والتعصب ذلك حين صد وا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه عن البيت ومنعوا الهدى محله ولم
يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم واكرهوا ان يكون محمد رسول الله وقيل قالوا اهل مكة قتلونا بابائنا واخواننا وطردونا عن
عبادتنا فيقول العرب انهم دخلوها علينا على غرة فاذا قتلناهم قالت العرب قتلوهم فى الحجة فمنعوا الله فى
الجاهلية الحمية فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين اعترض على الكافرين وهو اظهار محمد اخبر عن كثرتهم ملائهم وهزمهم
فتفشلوا عنهم ولتنازعتم فى الامر ولاختلفتم فى امر الهدى ولكن الله سلم اى ان يرميهم فيه لطيفة وهو ان الحكم اذا علم
عزم على امر كلمة التقوى قال ابن عباس كلمة التقوى لا اله الا الله اخرجه الترمذى وقال حديث غريب وقال
عز وجل ان عزمة الامور لا اله الا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير وقال عند الخلاء اى كانوا احق بها
الا الله محمد رسول الله والذى يعلم انهم احق بها وكان الله بكل شئ عليما اى من كلمة التقوى وغيرها
ان الله تعالى لما اختار لدينه وصحبة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم اهل الفتح والصلاح وكان الله بكل شئ عليما
اى ان الله تعالى علم انهم اهل لذلك وقال المفسرون نزلت فى اهل بيعة الرضوان لقد صدق
اى صدق الله فى الرؤيا قوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام هو والرؤيا التى رآها انه يدخل مكة هذه الآية
اسم رسول الله والباقى سبب نزول هذه الآية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى فى المنام وهو بالمدينة قبل
ان يحج الى الحديبية انه يدخل المسجد الحرام هو واصحابه فقص رؤياه على اصحابه ففرحوا حسبوا انهم داخلوها عامهم فلما انصرفوا
ولم يرى شيئا مما ظنوه عليهم ذلك وقالوا للمسلمين رؤياه التى رآها فانزل الله هذه الآية وخلوا فى العام المقبل
وروى عن مجمع بن جارية الانصارى وكان احد القراء الذين جمعوا القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما انصرفنا
عنها اذا الناس يهزون الاباعر فقال بعضهم لبعض ما بال الناس قالوا وحى رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجنا
نوجف فوجدنا النبى صلى الله عليه وسلم واقفا على راحلته عند كراع الغميم فلما اجتمع الناس قرأ انا فتحنا لك فتحا
مبينا فقال اعرابى فتح هو يا رسول الله قال نعم والذى نفسى بيده فطيبت قسمة خيبر لاهلها وحق لهم ما اصابوا منها
وتحقيق الرؤيا كان فى العام المقبل وقوله لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق اخبار الرؤيا التى رآها
اياه وتحريجها الى الحديبية انه يدخل هو واصحابه المسجد حق صدق بالحق اى الذى له حقا وصدقا وقيل
يجوز ان يكون بالحق قسما لا تاكيد قسم لا تاكيد قسم بها الله تعالى او قسما بالحق الذى هو ضد الباطل وجوابه لتدخلن
المسجد الحرام وقيل لتدخلن من قوله يهدوا الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه حكاية عن رؤياه فاخبر الله عن
رسوله صلى الله عليه وسلم انه قال ذلك ان شاء الله قبل انا استثنى فيه بدخوله لقطعها اعلاه الادب
وتاكيد الفعله ولا تقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله وقيل انه بمعنى اذ بمعنى اذ شاء الله وقيل الراجع
الدخول عام الحديبية وان المؤمنون يريد ولتدخلون بامن لتدخلن المسجد الحرام ولكن لا يتوقع والراجع
ولكن بشية الله تعالى وقيل الاستثناء راجع على الامن لا على الدخول لانا لم نكن نعلم انه يكون امن فيه شك ولكن قال ان شاء الله
عليه وسلم وانا ان شاء الله بكم لاحقون مع انه لا يشك فى لحوقه محلقين رؤسكم اى كلها ومقصرين اى اخذ بعض من بعض
شعوركم لا تخافون اى من عدو فى جميعكم لان قوله امنين فى حال الاحرام لانه لا قتال فيه وقوله لا تخافون يرجع الى
كلا الامن بعد الاحرام وقوله الى الرجوع معلوم انهم علموا بعينه فعلم ان التسلح وتاخير الدخول وكون ذلك
سبب لوطء المؤمنين والمومنات وقيل علم ان ذلك فى السنة الثانية ولم تعلموا انتم فلستم انه فى السنة الاولى

فجعل

فجعل من دون ذلك اى من قبل خيبر فتحا قريبا يعنى صلح الحديبية قاله الاكثرون وقيل هو فتح خيبر وقيل غير
ذلك والذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق هذا لبيان الصدق قالوا وذلك ان الله لا يرى رسوله صلى الله عليه وسلم ما لا يكون
فعجلت الناس فتح ذلك فانه فيكون ذلك سببا لدخول المسجد الحرام والرؤيا بقوله لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق
ويقوله هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق فيدريان وقوع الفتح ودخول مكة وهو قوله تعالى ليظهره على الدين
كله اى يعليه ويقويه على الاديان كلها فتضمر الاديان كلها دونه وكفى بالله شهيدا اى وانه رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهى سكينة تغلب المؤمنين وذلك انهم تاهوا ومن قال اذا كفار لو قاتلونا لغلبناه رسول الله صلى الله عليه وسلم دناه عن البيت
فقال تعالى وكفى بالله شهيدا انه رسول الله ثم قال محمد رسول الله اى هو محمد رسول الله الذى سبق ذكره فى قوله ارسل
رسوله قال ابن عباس شهد له بالرسالة ثم ابتدا فقال تعالى والذين معه يعنى اصحابه المومنين اشداء على الكفار
اى غلاظ اقوياء كالاسد على فريسته لا تاخذهم فى دينه لومة لائم رحماء بينهم اى متعاطفون متوادون يعضهم لبعض
كالوالد مع ولده كما قال فى وصفهم اذلة على المومنين اعزة على الكافرين تراهم ركعا سجدا اخبر عن كثرة صلاتهم وانهم
عليها يبتغون اى يطلبون فضلا من الله يعنى الجنة ورضوانا اى ان يرضى عنهم وهو طلبة واحدة وهو ان الحكم اذا علم
ان الله عز وجل يريد فعلا لا يتهيا له ما يريد فعله الا بمن يعينه فاخبر عز وجل انه يعين نبيه بهذه الصفات التى ذكرها
المخاطب رحابتهم عثمان بن عفان نزلوا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا بنية الصحابة سيماهم
اى علامتهم وجوههم من اثر السجود اختلفوا فى هذه السيما على قولين احدهما ان المراد فى يوم القيمة قيل هو نور يوضع
فى وجوههم يعرفون به يوم القيامة وهو رواية عطاء عن ابن عباس وقيل يكون مواضع السجود من وجوههم
كالقمر ليلة البدر وقيل يعرفون بعلامة يظهر عليهم يوم القيمة يعرفون بذلك والقول الثانى ان ذلك فى الدنيا وذلك انهم
استنارت وجوههم بالنهار من كثرة صلاتهم بالليل وقيل هو التهجد الحسن والخشوع والتواضع قال ابن عباس ليس
بالذى تروون ولكنه سيما الاسلام وسمت وخشوعه والمعنى ان السجود اورثهم الخشوع والسمت الحسن يروى
بعد وقيل هو صفرة الوجه من سهر الليل فى الصلاة وقيل فى جلدين احدهما سهر الليل فى الصلاة والعبادة والآخر
فى النهار بالعطش والصيام ذا سيماهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل كزرع اخرج شطاه اى فراخه قيل فراخ الحب
انبات الحب وقيل هو الحب نفسه فآزره اى قواه واعانه وشد واستمر فاستغلظ اى غلظ ذلك الزرع وقوى فاستوى اى تم وتلاحق نباته
وقام على سوقه جمع ساق اى على اصوله يعجب الزراع اى يعجب ذلك الزرع اى حسنه وقد مثل ضربه اسم وصف
الصحابة بهذه الصفة فى التوراة والانجيل انهم يكونون قليلا ثم يزدادون ويكثرون قال قتادة مثل اصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم كمثل هذا الزرع اخرج شطأه اى فراخه قيل فراخه هو نبات الحب نفسه فاخرج بعد ما
قل فآزره اى قواه واعانه وشد واستمر فاستغلظ اى غلظ ذلك الزرع وقوى فاستوى اى تم وتلاحق نباته
وقام على سوقه جمع ساق اى على اصوله يعجب الزراع اى يعجب ذلك الزرع هذا مثل ضربه الله عز وجل
لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا قليلا ثم كثروا وقيل هذا مثل ضربه الله عز وجل لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا قليلا ثم كثروا
وقيل هذا مثل ضربه الله عز وجل لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم اخرج شطأه ابو بكر فآزره عمر فاستغلظ عثمان فاستوى على سوقه
على بن ابى طالب يعجب الزراع اى من جمع امن به وصدقه بهم اغاظ بهم الكفار قيل هو قول عمر للخطاب لاهل مكة بعد اسلامه
لاشد ما كنتم علينا اليوم وقيل هو قول عمر حين رآهم يصلون بعد اسلامه وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم
اى صدقوا الله ورسوله بالتوحيد وعملوا الصالحات من الفرائض والنوافل منهم مغفرة لذنوبهم وقيل لما نزل قوله تعالى
ما يفعل بى ولا بكم قال المسلمون قد علمنا ما يفعل بنا فما يفعل بكم فانزل الله تعالى هذه الآية فقال النبى صلى الله
عليه وسلم لقد انزلت على آية هى احب الى مما طلعت عليه الشمس وغربت ثم قرأها عليهم فقالوا هنيئا مريئا
قد علم الله ما يفعل بنا فما يفعل بكم فانزل الله تعالى ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار
خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم وكان ذلك عند الله فوزا عظيما وانزل الله تعالى وبشر المؤمنين بان لهم من الله
فضلا كبيرا

فصل

قال اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبرنا ما لنا بك يا رسول الله فانزل الله تعالى هو الذى انزل السكينة فى قلوب المؤمنين
الآية قال ابن عباس هى الرحمة التى رحم بها اهل بيعة الرضوان وقال السدى هى الوقار وقال عطاء هى الصبر وقال
الضحاك هى الايمان ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم قال ابن عباس يقول ليزدادوا تصديقا بشرائعى مع تصديقهم بها
ولله جنود السموات والارض اى يدبر امرهما وكان الله عليما بخلقه حكيما فى تدبيره وقيل عليما بمن يستحق الفتح
حكيما فى قضائه وقيل عليما بما يصلح عباده حكيما فى تدبيره انا ارسلناك شاهدا على امتك بالتبليغ ومبشرا
لمن اطاعك بالجنة ونذيرا لمن عصاك بالنار لتؤمنوا بالله اى لتصدقوا بالله وتوحدوه وتطيعوه وتعزروه اى تعينوه
وتنصروه وتوقروه اى تعظموه وتسودوه وتسبحوه اى تصلوا له بكرة اى غداة وعشيا اى عشية
ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله اى يعاهدونك على الجهاد انما يبايعون الله فى الوفاء بالبيعة يد الله فوق
ايديهم اى فى الثواب والكرامة فمن نكث فانما ينكث على نفسه اى فمن نقض البيعة فانما يعود ضرر نقضه عليه
ومن اوفى بما عاهد عليه فسيؤتيه اجرا عظيما اى الجنة سيقول لك المخلفون من الاعراب شغلتنا اموالنا واهلونا
فاستغفر لنا يقولون ذلك بالسنتهم وليس فى قلوبهم ما قالوا بل ظنوا ان الله يستاصل محمدا واصحابه فلا يرجعون
ابدا وذلك ظنكم السوء اى ظننتم ان الله لا ينصر رسوله وكنتم قوما بورا اى هلكى جمع بائر وقيل فاسدين
لا خير فيكم وقيل لا يصلحون لشئ من الخير وقيل لا ثواب لكم عند الله سيقول لك المخلفون اذا انطلقتم الى مغانم
لتاخذوها اى مغانم خيبر ذرونا نتبعكم اى دعونا نكن معكم نشهد قتالهم ونصيب من الغنيمة يريدون ان يغيروا
كلام الله اى وعده لاهل الحديبية ان غنيمة خيبر لهم خاصة قل لن تتبعونا اى لن تخرجوا معنا كذلك قال الله من قبل
اى من قبل رجوعنا اليكم من غزوتنا هذه فسيقولون بل تحسدوننا اى ما تريدون اتباعنا الا حسدا ان نصيب معكم
بل كانوا لا يفقهون الا قليلا اى لا يفقهون امر الدين الا قليلا قل للمخلفين من الاعراب ستدعون الى قوم اولى
بأس شديد اختلفوا فى هؤلاء القوم على اقوال احدها انهم فارس قاله ابن عباس وقتادة والثانى هوازن يوم حنين
قاله الزهرى والثالث بنو حنيفة اصحاب مسيلمة يوم اليمامة قاله ابو هريرة والرابع الروم قاله رافع بن خديج
والخامس هم الذين قاتلوا ابا بكر الصديق يوم ذى القصة قاله عكرمة والسادس هوازن وثقيف يوم حنين قاله
كعب بن مالك والسابع فارس والروم قاله الحسن وقتادة فى رواية تقاتلونهم اى تقاتلون هؤلاء القوم
او يسلمون اى يدخلون فى الاسلام فان تطيعوا يعطكم الله اجرا حسنا هو الجنة وان تتولوا كما توليتم من قبل
اى كما توليتم يوم الحديبية يعذبكم عذابا اليما اى فى الدنيا بالقتل والسبى وفى الآخرة بالنار ليس على الاعمى
حرج اى ضيق فى التخلف عن الجهاد لعماه ولا على الاعرج حرج لزمانته ولا على المريض حرج فى التخلف لمرضه
ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار ومن يتول يعذبه عذابا اليما

Copyright © University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)